

تلخيص د. سعيد منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

التلخيص لمادة د. سعيد منصور :

الخطابة في عصر صدر الإسلام

لا يتم إيمان المرأ إلا من خلال تعاملاته الحسنة التي تنطوي على حسن أخلاقه فالمسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه وَيَدِهِ، وكذلك فإن المسلم ليس بِفَاحِشٍ ولا طَعَانٍ ولا بَذِيءٍ وهكذا نصت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القائل : (إنما بُعِثْتُ لِأُتِمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

فالإسلام إذا جاء لتوكيد ما صَحَّ من أخلاق الماضين.

ملاحظات :

أولا لإنتشار الخطابة في عصر صدر الإسلام جعل الكثيرون يعتقدون أنها فنٌ إسلامي وسبب ذلك العناية الفائقة بالخطابة في ذلك العصر

وبالتأكيد فإن أي دين جديد يحتاج للدعاة لهذا الدين

وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام وهو الذي أوتي جوامع الكلم.

ثانيا : شكَّ المؤرخون في نسبة بعض الخطب في عصر الجاهلية، ولكن في عصر الإسلام لم يحدث ذلك، وإنما الشك يتطرق إلى النقل اللفظي فعلماء الحديث تحققوا من السند في الخطابة كما تحققوا منه في الحديث على أنما ما وصل إلينا من نصوص يُعدُّ قليلا جدا إلا في حالة الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه.

وذلك لاشتغال النقل عند علي على وسائل أخرى وقضايا أخرى.

الفصل الأول :

التقوى :

مفهوم التقوى في الإسلام من المفاهيم التي لها الأولوية فهو مفهومٌ شامل يشمل كل ما يفعله الإنسان من أمور دينه ودُنياه ولذلك جاءت خطبُ النبي صلى الله عليه وسلم في البداية على قدر هذا المفهوم فكانت خطبته الأولى في مكة يقول فيها :

إن الرائد لا يكذبُ أهله والله لو كَذَبَتِ النَّاسَ جميعا ما كَذَبْتُكُمْ

ولو غررت النَّاسَ جميعا ما غررْتُكُمْ

والله الذي لا إلهَ إلا هو إني لرسولُ الله إليكم خاصةً وإلى النَّاسِ كافة

والله لَتَمُوتُنَّ كما تَسْتَيْقِظُونَ

وَلْتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ

وَلْتَجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إحسانا

وبالسوءِ سوءا وإنها لَجَنَّةٌ أبدا أو نَارٌ أبدا.

فظلَّ هذا المفهوم هو الأساسي لأي شخص أراد الدخول في الإسلام فغير المسلم عليه أن يُسَلِّمَ والمُسلم عليه بالتقوى في إسلامه فهي جوهر ما أرادهُ الله من الإنسان ولذلك بُعثَ النبي صلى الله عليه وسلم

فالتقوى تتضمن التوحيد لله وعبادته والعمل في سياق مَرَكِزِيَّة هذا التوحيد

وكل خلل في ذلك السبيل فإنه خلل في التقوى.

ملاحظة :

بعد أن استقرت الأمور في المدينة خُطِبَ النبي عليه الصلاة والسلام أَوَّلَ خُطْبِهِ وكانت لترسيخ معنى التقوى فقال :

الحمد لله أحمده واستعينه واستغفره واستشهد به وأؤمن به ولا أكفره وأُعادي مَنْ يكفره

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله

أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وإنقطاع من الزمان ودُنُو من الساعة وقُرْب من الأجل

مَنْ يُطِيعِ الله ورسوله فقد رَشِدَ

وَمَنْ يَعَصِهِ فقد غَوَى وقرط وضلّ ضلالا بعيدا

أوصيكم بتقوى الله فإن خيرا ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ولا أفضل من ذلك نصيحة

ولا أفضل من ذلك ذكرى

وإن تقوى الله لَمَنْ عَمِلَ على عملٍ ووجلٍ ومخافةٍ من الله

عزٌّ وصدقٌ على ما تبغون من أمر الآخرة وَمَنْ يُصْلِحِ الذي بينه وبين الله من أمره يَكُنْ له ذكرا في عاجل أمره ودُخرا في ما بعد الموت حين يفتقر المرأ إلى ما قدّم

وما كان من سوا ذلك يود لو أن بينه وبين ذلك أمدا بعيدا

ويُحَذِّرُكُمْ الله نفسه والله رؤوفٌ بالعباد

هو الذي صدّق وعده وصدق قوله وأنجز وعده لا خُلفَ لِدَلك يقول عز وجل [ ما يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وما أَنَّ بَطْلَامٌ لِلْعَبِيدِ.]

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه مَنْ يَتَّقِ الله فقد فاز فوزا عظيما

وإن تقوى الله يوقي مقتله ويوقي عُقوبته ويوقي سَخَطه وإن تقوى الله يُبَيِّضُ الوجوه ويُرضي الرب ويرفع الدرجة.

وهكذا إتضح معنى التقوى والذي هو من القيم الإسلامية العظيمة

وهي تُقابل المروءة في الجاهلية ولقد ظلَّ الإعتناء بالتقوى حتى النهاية من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم.

فخطبة الوداع وهي أشهر خطب النبي صلى الله عليه وسلم التي وصلت إلينا تبدأ بالحث على التقوى فيقول فيها بعد الحمد والثناء على الله بما هو أهله ( أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحُتكم على طاعته واستنفتح بالذي هو خير )

وكذلك أنهى عليه الصلاة والسلام خطبته بالحديث عن التقوى فيقول ( أَيْهَ الناس إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير وليس لعربي على أعجمي فضلٌ إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. )

ولأن التقوى كانت هي السمة البارزة في عصر صدر الإسلام والأشمل

أخذ الصحابة رضوان الله عليهم نهج نبيهم عليه الصلاة والسلام في استقاء حلاوة كلامه ومعانيه الجميلة.

وقد أكد على ذلك النبي عليه الصلاة والسلام حين قال

( تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا

كُتِبَ اللهُ وَسُنَّتِي.)

قال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق :

إني مُسْتَخْلِفُكُمْ من بعدي وَمَوْصِيكُمْ بتقوى الله إنَّ الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار

وإنَّ له عملا بالنهار لا يقبله بالليل وإنَّه لا تُقْبَلُ النافِلَةُ حتى تؤدى الفريضة.

الفصل الثاني الأُخُوَّة :

إن كانت التقوى في الإسلام تعبر عن الجوهر القيمي الذي إنطَلَقَ منه هذا الدين فكانت أعظم ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين من بعده وكذلك شَمِلَتْ بقية القيم الخُلُقِيَّة فكانت بقية الأخلاق تحت هذا الجناح المتمثل في التقوى

فإنَّ الأصل الثاني الذي إنطلقت منه المنظومة الأخلاقية الإسلامية هو الأخوة وما يتصل بها من مفاهيم وإن كانت التقوى تُعبر عن إعادة النظر المقابلة في قيمة المروءة في الجاهلية فإنَّ الأخوة تقابل القيمة الأصلية في الجاهلية ألا وهي العصبية

والتقوى والأخوة تتكاملا مع بعضيهما لخلق منظومة أخلاقية جديدة يحثُ عليها الإسلام فالاعتبار لن يكون بالقبيلة التي تُنسب إليها وإنما باعتبار شخصيك وتقواك والمسلم للمسلم كالأخ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ( مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّة )

ولقد أكد عليه الصلاة والسلام العلاقة الوثيقة بين التقوى والأخوة فيقول :

أيُّها الناس إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد كلُّكم لأنَّ آدم من تراب.

ولقد كان من أول أعماله صلى الله عليه وسلم عند هجرته للمدينة المُأخَاة بين المهاجرين والأنصار، والأوس والخزرج.

ولقد استمرت هذه القيمة الخُلُقِيَّة العظيمة حتى جاء الاختبار الأصعب بعد موته عليه الصلاة والسلام

واختيار الخليفة فوقفَ أبا بكر قائلاً :

هذا عُمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالوا لا والله لا نتولى هذا الأمرُ عليك فإنك أفضلُ المهاجرين وثاني إثنين إذرهما في الغار وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والصلاة أفضلُ دين المسلمين فَمَنْ ذا ينْبَغِي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك إبسط يدك نُبأِئُكَ.

وفي ما سَلَفَ فهذا قَمَّةُ الإتياع لأوامر الكتاب والسنة على صاحبها الصلاة والسلام.

وفي ذلك نرى أثرَ ما رَسَخَهُ الإسلام في نفوس مُتَّبِعِيهِ.

الفصل الثالث :

الجهاد :

أدب الجهاد في خطابة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

تناولت خطب النبي صلى الله عليه وسلم قِيَمَ التقوى والأخوة بشكلٍ كبير فهي القِيَم التي ترسخ لتواجد غيرها وبالتالي فإنَّ خطب النبي صلى الله عليه وسلم تناولت الجهاد كموضوعٍ لحث أصحابه عليه

أصحابه الذين شربوا روح الإسلام من معلمهم الأعظم فانتقلَ من خلالهم الجهاد لبحث قيمي مركزي تقوم عليه خطبهم في الحروب وغيرها فهو أعلى سِنَم الدين كما يُوضَحُ لنا فَحَثُوا على البذل في سبيل الله بالمال والنفس فلا يقتصِر الإيمان على العبادات فقط وبذلك يتحقق إيمان المرأ حقا

وقد حَقَلَت الخُطَب التي وصلت إلينا والمنسوبة إلى أبي بكر الصديق بالجهاد وأدابه والحث عليه فهو الصديق الأقرب للنبي عليه الصلاة والسلام والذي وَقَفَ موقفا واضحا أمام حركات الردة التي حدثت بعد وفاة عليه الصلاة والسلام وأشهد

في ذلك قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه أن قوما يفضلوه على أبي بكر فغضب وقام وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس إني سأخبركم عني وعن أبي بكر إنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعوا شاتها ويعبرها فاجمع قولنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلنا يا خليفة رسول الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمدّه الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فلا طأقت لك يقاتل العرب فقال أو كلّم رأيّه هذا؟ قلنا نعم

فقال :

لأن أجزء من السماء فتخطفن الطير أحب إليّ من أن يكون رأيي هذا ثم قام فخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله عليه الصلاة والسلام : أيّه الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وإن كثّر أعداءكم وقل عدّكم وركب الشيطان منكم ذلك المركب والله لا يظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها قولّه الحق ووعده الصديق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق وكّم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين

والله أيّه الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهنّ عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين.

وعلى نهج ذلك كانت خلافة أبي بكر فكان جُلّ خطبه سيمتها الجهاد.

وبالرغم من إشماتل هذه الخطب على الحث على الجهاد بشكل كبير إلا أنه لم ينسى آداب الجهاد وكيف يجب أن يكون المسلم في قتال الكفار

فهو لا يحارب لغاية القتل وسفك الدماء وإنما الضابط هو روح الجهاد التي حثّ عليها الإسلام.

ويجسد هذه الآداب في عدد من الأمثلة منها وصيته لجيش أسامة ابن زيد الذي خرج لقتال الروم وإنصر المسلمين عليهم فقال :

يا أيّه الناس قفوا أوصبيكم بعشر فاحفظوها عني :

لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمتثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تدبحوا شاهة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة

وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له وسوف تمرّون بأقوام يمدونكم بأنية فيها ألوان طعام فإذا أكلتم منها شيء من بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها وسوف تُقدّمونا على قوم قد فحّصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل الغمام فاحققوهم بالسيف خفقا أنظفوا اندفعوا بسم الله.

أدب الجهاد في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

(مهم)

كانت خلافة عمر ابن الخطاب الأطول من ضمن الخلافات الراشدة الأربعة وفيها توسع المسلمون في الفتوحات توسعا كبيرا من أثر الجهاد فكيف لا يكون خطب خليفتهم ذاخرة بقيمة الجهاد وآدابه الخلقية وهو الخطيب الموقر والخليفة المحب لإداب وكلام العرب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ويصدق بما يراه من الحق

على أن الاختلاف في أسلوب الخطابة بين الشيخين كان في أن عمر رضي الله عنه يتمسك بمعاني النصر في خطبته أكثر من معاني وأما أبا بكر فكان يكثر من التمسك بمعاني التقوى ولا يتطرق لمعاني النصر كثيرا.

فيجعلها مقدمة حث ومن ذلك قوله :

بسم الله وبالله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والنصر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تُمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغتالوا هربا ولا إمراة ولا وليدا وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وشئ الغارات

أما وصية عمر ابن الخطاب إلى سعد ابن أبي وقّاس : ( مهم )

أما بعد : فإنني أمرُك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله على كُلِّ حال فإنَّ تقوى الله أفضلُ العُدَّةِ على العدوِّ وأقوى المكيِّدةِ في الحرب وأمرُك ومَن معك أن تكونوا أشدَّ إحتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإنَّ ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصيةِ عدوهم لله ولولا ذلك فما كان لنا بهم قُوَّةٌ لأنَّ عدداً ليس كعددهم ولا عُدَّتنا كعدتهم فإذا استوتينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القُوَّةِ وإلا ننصرُ علينا بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظاً من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شرٌّ منا فلن يُسلَّطَ علينا وإنَّ أسأنا فربَّ قومٍ سلَّطَ عليهم شرٌّ منهم كما سلَّطَ على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كُفَّارَ المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً واسألوا الله العونَ على أنفسكم كما تسألوه النصرَ على عدوكم أسأل الله لنا ولكم ذلك وترفق بالمؤمنين في مسيرهم ولا تُجشِّمهم مسيراً يتعبهم ولا تُقصر عن منزلٍ يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم وسفر لم يُنقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدوٍ مقيم حامي الأنفس والكراع وأقم بمنَّ معك في كُلِّ جُمعةٍ يوماً وليلةً حتى تكونَ لهم راحةٌ يُحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونَحِي منازلهم عن قُرى أهل الصلح والذِّمة فلا يدخلها إلا مَنْ تَثِقُ بدينه ولا يَزُرْ أحداً من أهلها شيئاً فإن لهم حُرمةً وذِمةً ابتليتم بالفوائ بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فقولوهم خيراً ولا تستصبروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح وإذا وطأتم أرضَ العدو فأذلك العيون بينك وبينهم ولا يخفى عليك أمرهم وَلَ يَكُنْ عندك من العرب أو من أهل الأرض مَنْ تَثِقُ في نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاشي عينٌ عليك ليسَ عينا لك

وَلَ يَكُنْ منك عند دنوك من أرض العدو أن تُكثِرَ الطوائع وتُبَثِّ السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطوائع عوراتهم وانتقي للطوائع أهل الرأي واللباس من أصحابك وتخبر لهم سوابق الخير فإن لقوا عدواً كان لهم ما تلقاهم القُوَّة من رأيك واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاء ولا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حبيت أهل خاصتك ولا تبعثنَّ طليعةً ولا سريّةً في وجهٍ تتخوف فيه غلبةً أو ضيعةً نكايةً فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاسيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تُعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تُبصِرَ عورةَ عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها فتصنع بعدوك كما يصنع بك .....

أفكار الخطبة :

١ . تقوى الله عزَّ وجل

٢ . الخطاب للقائد

٣ . رعاية أهل الصلح والذِّمة

٤ . الشورى بين القائد وجنده

الطاعة :

خطبة معاوية لأهل الكوفة :

"يا أهل الكوفة: أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون".

خطبة معاوية لأهل المدينة :

وإن لم تجدوني أقومُ بحكمكم كله

فاقبلوا مني بعضه

فإن أتاكم مني خيراً فاقبلوه

فإنَّ السيلَ إذا زادَ عني غنى

وإذا قلَّ أغنى

وإياكم والفتنة فإنها تُفْسِدُ العِيشة وتكدر النعمة.

شرح هذه الخطبة والتحدث عن العصر الأموي.